المبحث الثالث

أسس الأساليب النفسية المؤثرة في نفس الطفل

obeikandl.com

«إن الأرواح لتنمو بالتربية اللطيفة ، كما تنمو الأجسام بالغذاء الصحيح ، ولنماء الجسم حد معلوم ، وغاية لا تُتَجاوَز ، إذا أَدْرَك شأوها أخذ فى التقهقر إلى الوراء، أما نماء الروح فموصول بحياة الإنسان ، لا يقف إلا إذا خمدت أنفاسه ، وبارح[1] مدرسة هذا العالم الكبرى» .

الشيخ محمد الخضر حسين

- رحمه الله -

(١) أى : فَارَقَ .

obeikandl.com

أسس الأساليب النفسية المؤثرة
فى نفس الطفل

الأساس النفسى الأول : صحبة الطفل :

تلعب الصحبة دورًا كبيراً فى التأثير على نفس الطفل ، وهى مرآةُ الصديق لصديقه ، حيث يحدث تأثير متبادل بين الصديقين ، فيتعلمان من بعضهما البعض .

وكان ﷺ يصحب الأطفال فى كافة الميادين ، فتارة يصحب ابن عباس ، ويسيران فى الطريق ، وتارة يصحب أطفال ابن عمه جعفر، وأخرى يصاحب أنساً، وهكذا يصحب النبى ﷺ الطفل معه من غير تأفف ولا استكبار ، ومن غير تعجرف ، ولا استعلاء ، فهذا حقُّ الطفل أن يصحَب الكبار ليتعلم منهم ، فتتهذب نفسه ، ويتلقح عقله ، وتتحسَّن عاداته .

وعن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل ، وهو يلعبُ مع الصبيان، فأخذه فصرعه ، فشقّ عن قلبه ... الحديث . رواه الحاكم فى مستدركه ، وقال: صحيح الإسناد ، وأقره الذهبى .

وروى الحاكم [1] أن عبد الله بن جعفر قال : لو رأيتنى وقثم وعبيد الله بن العباس نلعب ، إذ برسول الله ﷺ على دابة فقال : «احملوا هذا إلى» ، فجعلنى أمامه، ثم قال لقثم: «احملوا هذا إلى» فجعله وراءه ، ما استحيا من عمه العباس أن حمل قثم ، وترك عبيد الله ، ثم مسح برأسى ثلاثاً ، فلما مسح قال : «اللهم اخلفْ جعفراً

(١) السعادة العظمى للشيخ محمد الخضر حسين – رحمه الله – (ص ٩٠) .

فى ولده» قلت لعبد الله بن جعفر : ما فعل قثم ؟ قال : استشهد ، قلت لعبد الله : الله ورسوله كان أعلم بخبره ، قال: أجل .

وهذا الطفل الصحابى يُحدِّث كيف اصطحبه قومه إلى رسول الله ﷺ مما جعله بعد ذلك يروى الأحاديث النبوية ، ويحدث عما رآه ، وسمعه من رسول الله ﷺ ، إنه أبو جحيفة ﷺ فيقول :

أتينا رسول الله ﷺ فى نفر من بنى عامر بن صعصعة بالأبطح ، فقال : «مرحبًا ، أنتم منى» ، فلما حضرت الصلاة خرج بلال ، فأذن ، وجعل أصبعيه فى أذنيه ، وجعل يستديرُ فى أذانه ، فلما أقام غَرَزَ النبى ﷺ عَنَزَةٌ ، فصلى إليها . رواه أبو يعلى فى مسنده (٢/ ١٩١) بسند صحيح .

وهكذا فعل الصحابة – رضوان الله عليهم – فعمر كان يصحب ابنه ، وابن عباس . والزبير يصحب طفله إلى المعركة ليتعلم فنون القتال ، فينشأ قويًّا صلباً ، ثم ركّز ﷺ على صحبة الطفل للطفل ، فكان ﷺ فى طفولته يلعب مع الأطفال ، ويعيش معهم ، فيغدو ويروح معهم ، وهكذا نشأ .

ثم يشاهد ﷺ مجموعة من الأطفال يلعبون ، فلا يفرقهم ، ولا يفسد عليهم لعبهم ، بل إنه يشجعهم على هذه الروح الجماعية ، والمتابعة فى اللعب .

فإذا لابد للطفل من صحبة الأطفال فى عمره ، والأصدقاء فى طفولته ، فإذا أحسن الوالدان اختيار الصديق الصالح لطفلهما ، وراقبا سلوكَ هذه المجموعة من الأصدقاء ، ورعوها برعايتهم ، واجتمع الآباء لمدارسة أحوال أطفالهم ، واجتمعت الأمهات فى مدارسة سلوك أطفالهم ، فإن هذا سيأتى بالخير كله ؛ لأنه كما أن الوالدين مطالبان بتأمين الطعام الحلال للطفل؛لينشأ جسمه بالحلال ، وينبت لحمه بعيداً عن السحت ، فإن الوالدين مطالبان بتأمين الصديق الصالح لطفلهما ، يحادثه،

ويسامره ، ويلعب معه .

والحذر الحذر من أطفال السوء، أن يلتقطوا طفلك فيهووا به إلى مهاوى الرذيلة، وارتكاب الجرائم ، وأنت فى غيّك لاهٍ ، وفى الدنيا منهمك ، والأم فى استمتاعها بالزيارات لصديقاتها ذاهبة عائدة ، والطفل يعيش بين براثن أطفال السوء . وما الجرائم وسجون الأحداث إذا زرتها ، أو سمعت عنها ، إلا من أطفال السوء انتشلوا طفلك فى غفلة منك .

أتريد أن تشاهد طفلك فى سجون الأحداث ، أم فى بيوت الله والمساجد ؟ ! فلتسارعْ فى البحث عن طفل صالح يصادق طفلك ، ويصاحبه فى غدوّه ورواحه . فإن لم تجد الطفل الصالح ، فسارع إلى أستاذ صالح يرشدك إلى الأطفال الصالحين ، ويضم طفلك معهم .

أَمَا آن للوالدين أن يستيقظا ؟ ! فلقد استيقظ الأعداء على سرقة طفلكم من بين أحضانكم ، وذلك بالمنظمات الكافرة ، والاتحادات الفاسدة ، والنوادى القذرة .

الأساس النفسى الثانى : إدخال السرور والفرح فى نفس الطفل :

السرور والفرح يلعب فى نفس الطفل شيئًا عجبًا ، ويؤثر فى نفسه تأثيرًا قويًّا . فالأطفال ، وهم براعم البراءة والصفاء يحبون الفرح ، بل هم أداة الفرح للكبار ، ويحبون الابتسامة أن يشاهدوها على وجوه الكبار .

وبالتالى فإن تحريك هذا الوتر المؤثر فى نفس الطفل سيورث الانطلاق ، والحيوية فى نفسه ، كما أنه يجعله على أهبة الاستعداد لتلقى أى أمر أو ملاحظة ، أو إرشاد .

وكان النبى ﷺ يُدخل دائماً السرور والفرح إلى نفوس الأطفال ، ويتبع فى ذلك شتى الأساليب ، فمن ذلك :

ـ الاستقبال الجيد لهم .

ـ تقبيلهم ومماز حتهم .

ـ مسح رؤوسهم .

ـ حملهم ، ووضعهم فى حجره الشريف .

ـ تقديم الأطعمة الطيبة لهم .

ـ الأكل معهم .

كل ذلك كان يفعله ﷺ على نحو ما سيأتى معنا فى البناء العاطفى ؛ لما للفرح من قوة فى التأثير ، ولما للسرور من براعة فى إسعاد الطفل .

قال الحسن : «ما يعلم أهل السماء ، وأهل الارض ، ما يثيب اللهُ العبدَ على الشيء ، يُفْرح به عياله ، وأهله ، وولده» . رواه ابن الدنيا فى كتاب العيال (٢/ ٥٥٨) .

وهذا تطبيق عملى واقعى فى إدخال الفرحة والبهجة والسرور على الأطفال ، وفى مجلس الخلفاء :

أورد ابن حجر الهيتمى المكى فى كتابه (الصواعق المحرقة) (ص ٢٧٤) فقال : دخل عبد الله بن الحسن بن الحسن السبط على عمر بن عبد العزيز ، وهو حديث السنّ ، وله وفرة ، فرفع عمر مجلسه ، وأقبل عليه ، فلامه قومه ، فقال : إن الثقة حدثنى ، حتى كأنى أسمعه من فِى رسول الله ﷺ : «إنما فاطمة بضعة منى يسرُّنى ما يَسرُّها» وأنا أعلم أن فاطمة لو كانت حية ، لسرّها ما فعلتُ بابنها .

الأساس النفسى الثالث : زرع التنافس البنّاء بين الأطفال ، ومكافأة الفائز :

إنَّ التنافس يحرك فى الإنسان عامة ، فضلاً عن كون الطفل ذا مشاعر ، وطاقات

مكنونة ، لا يعرفها الإنسان إلا عندما يضع فى نفسه و منافسة فلان أو فلان؛ للفوز عليه ، ورسول الله ﷺ يثيرُ فى نفس الطفل روحَ المنافسة ؛ ليحرك هذه الطاقة الهائلة فى الإنسان ، فمن أمثلة ذلك : المنافسة الفكرية ، حينما طرح رسول الله ﷺ سؤالًا على أصحابه ، وكان من بين الحاضرين ابن عمر رضى الله عنهما وكان أصغر القوم :

أخرج البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «إن من شجر البوادى شجرة لا يسقط ورقها ، وإنها المسلم ، فحدِّثونى ما هى ؟» ، فوقع الناسُ فى شجر البوادى ، قال عبد الله : وقع فى نفسى أنها النخلة . ثم حدثنا رسول الله قال : «هى النخلة» .

وفى رواية يبرر فيها ابن عمر عدم جوابه : «فإذا أنا أصغر القوم ، فسكتّ» ، فالأسئلة تنبّه عقلَ الطفل ، وتفتح مغاليق فهمه ، وتُوقِظ حركةَ الذاكرة الجامدة ... وهذا النوع من الأسئلة يسمّى فى بلاد الشام «بالتحازير» وفى مصر «بالفوازير» .

فهذا الطفلُ ابن عمر نافس الكبار فى المعرفة والجواب ، إلا أنه التزم بالأدب لصغر سِنّه .

ومن الأمثلة كذلك : التنافس الرياضى بين الأطفال ، حيث كان ﷺ يجرى مسابقة الجرى بين الأطفال ؛ لتنمو عضلاتهم ويقوى جسمهم :

أخرج أحمد عن عبد الله بن الحارث ﷺ قال : كان رسول الله ﷺ يصفُّ عبد الله، وعبيد الله ، وكُثيرًا بَنى العباس ﷺ ثم يقول : «من سبق إلىّ فله كذا وكذا» . قال : فيستبقون إليه ، فيقعون على ظهره وصدره ، فيقبِّلهم، ويلتزمهم .

فإذاً المنافسة ، والمسابقة أسلوب بيد الوالدين والمربِّين يستخدمونه فى الأوقات المناسبة، فتنشط نفوس الأطفال ، ويرتفع منسوب همتهم ، ونشاطهم ، وتنمو مواهبهم ، ويُقدِّمون للفائز منهم الهدايا والعطايا ، كما فعل رسول الله ﷺ : «ومن

سبق إلىّ فله كذا وكذا» .

فيشعر الطفل باللذة ، ونشوة السعادة ، ويسارع كل طفل أن يقدم كل طاقته ، ويبذل كل وسعه فى الوصول إلى الفوز ، ويستعد ليوم المسابقة ، فيغدو إلى البيت ، ويهيئ نفسه ، ويتدرب ، ويتعلم ، ويسأل ، وينقب عن المعرفة ، ويُرى والديه إلى أى درجة وصل ، وهكذا تتفجر الطاقة المكنونة .

وثمة ملاحظة ، وفائدة أخرى لهذا الأسلوب ؛ إذ ينمى فيه روح الجماعة ، والابتعاد عن الفردية ، ويتدرَّب على فهم الحياة ، فتارة يربح ، وأخرى يخسر ، ومرة يعرف الجواب، وأخرى يُغلق عليه ، ومرة يصيب ، وتارة يخطئ ، وهكذا ...

الأساس النفسى الرابع : مبدأ تشجيع الطفل :

إن التشجيع الحسى ، أو المعنوى ، خير كله ، وعنصر ضرورى من عناصر التربية، لا غِنى عنه[1] ، ولكن بدون إفراط .

وللتشجيع دور كبير فى نفس الطفل ، وفى تقدم حركته الإيجابية البناءة ، وفى كشف طاقاته الحيوية ، وأنواع هواياته ، كما أنه يزيد فى استمرارية العمل ، ودَفعه قُدُمًا نحو الأمام بمردود جيِّد .

وما الحديث الذى تقدم فى صف النبى ﷺ للأطفال ، وتشجيعهم على السباق ، وأنه : «من سبق إلىّ فله كذا وكذا» إلا دليل على ذلك .

وهذا عمر رضي الله عنه يخرج من مجلس رسول الله ﷺ بصحبة ابنه عبد الله، الذى قال لأبيه عمر عندما خرجا : «فلما خرجتُ مع أبى ، قلتُ : يا أبتاه ، وقع فى نفسى النخلة ، قال : ما منعك أن تقولها ؟! لو كنت قلتها كان أحب لى من كذا وكذا قال إلا أنى لم أرك ولا أبا بكر تكلَّمتُما ، فكرهتُ» . رواه البخارى .

(١) منهج التربية الإسلامية لمحمد قطب (٢/ ١٤١) .

قال ابن حجر – معلقاً على الحديث : «كأنه أشار بإيراده إلى أن تقديم الكبير ، حيث يقع التساوى ، أما لو كان عند الصغير ما ليس عند الكبير فلا يمنع من الكلام بحضرة الكبير ؛ لأن عمر تأسَّف حيث لم يتكلم ولده ، مع أنه اعتذر له بكونه بحضوره وحضور أبى بكر ، ومع ذلك تأسَّف على كونه لم يتكلم» [1].

وعلق ابن القيم على الحديث فى كتابه «الطب النبوى» (ص ٣٩٨) بقوله :وفيه : فرح الرجل بإصابة ولده ، وتوفيقه للصواب .

وفيه : أنه لايكره للولد أن يُجيب بما يعرف بحضرة أبيه ، وإن لم يعرفه الأب ، وليس فى ذلك إساءة أدب عليه» .

وهذا مثال آخر لاهتمام عمر ، وتشجيعه للأطفال أن يتكلموا فى مجلس الكبار ، وتقديم آرائهم وأفكارهم : روى ابن المبارك فى الزهد ، وابن جرير ، وابن أبى حاتم، والحاكم فى المستدرك عن عمر ﷺ، قال : فيم ترون أنزلت هذه الآية : ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ﴾ [البقرة : ٢٦٦] فقالوا : الله أعلم، فغضب عمر، فقال : قولوا نعلم، أو لا نعلم ، فقال ابن عباس : فى نفسى منها شىء يا أمير المؤمنين ! فقال عمر : قل يا بن أخى ولا تُحقِّرْ نفسك ، فقال ابن عباس: ضرب مثلًا لعمل ، فقال عمر : أىّ عملٍ ؟ فقال : العمل، فقال عمر: لرجل غنى يعمل بالحسنات ، ثم بعث الله إليه بشيطان ، فعمل بالمعاصى حتى أغرق أعماله كلها[2] .

فليكن شعار الوالدين والمربين فى تشجيع الأطفال : « **قل يا بنى ، ولا تحقر نفسك**».

ومن التشجيع الحسن : تشجيع الأطفال على الأمور الحسنة ، ومن بينها : شراء

---

(١) فتح البارى (١٣/ ١٥٣) .
(٢) فتح البارى (١٣/ ١٥٣) .

الكتب النافعة ؛ ليصبح للطفل مكتبة علمية تنموه فهذا ابن عابدين - العالم الكبير- يُحدّث ابنه عن نشأته فيقول[1] :

«وكان السبب فى جمعى لهذه الكتب العديمة النظير : والدىّ ، فإنه كان يشترى لى كل كتاب أريده ، ويقول: اشتر ما بدا لك من الكتب ،وأنا أدفع لك الثمن ، فإنك أحييتَ ما أمتُّه أنا من سيرة سلفى . فجزاك الله تعالى خيراً يا ولدى» . وأعطاه كتبَ أسلافه الموجودة عنده من أثرهم ، الموقوفة على ذراريهم .

ومن أمثل التشجيع على الحفظ : ما حدّث به الأديب اللغوى ابن دريد صاحب كتاب (جمهرة اللغة) قال : كان أبو عثمان الأشناندانى معلمى ، وكان عمى الحسين ابن دريد يتولى تربيتى ، فكان إذا أراد الأكل استدعى أبا عثمان يأكل معه ، فدخل يوماً عمى ؛ وأبو عثمان يروينى قصيدة الحارث بن حلزة ؛ التى أولها :

آذنتنـــا ببينهـــا أسمـــاء ربَّ ثاوٍ يمـــل منـــه الثـــواء

فقال لى عمى :«إذا حفظت هذه القصيدة ، وهبتُ لك كذا وكذا» ثم دعا المعلم ؛ ليأكل معه ، فدخل إليه ، فأكلا ، وتحدثا بعد الأكل ساعة ، فإلى أن رجع المعلم،حفظتُ ديوانَ الحارثِ بنِ حلزة بأسره ، فخرجَ المعلمُ ، فعرّفتهُ ذلك ، فاستعظمه ، وأخذ يعيده علىّ ، فوجدنى قد حفظتُه ، فدخلَ إلى عمى ، فأخبره ، فأعطانى ما كان وعدنى به»[2].

والحذر الحذر من عدم إعطاء الأطفال مكافآتهم التشجيعية التى وعدوا بها ، فإن ذلك يورث السآمة فى نفوسهم ، كما يتعلمون الكذب ، وعدم الوفاء .

فإذا وُعد الطفل بشىء فليعط له ، فإن ذلك يثير همته ، ويحرك نفسه ، ويتقدم إلى

(١) حاشية ابن عابدين (١/ ٧ ط ٢) .
(٢) الرسالة القشيرية ، باب : الشكر .

العطاء ، ويتفاعل مع والديه أو مربيه ، ويتعلم الجدية فى الحياة .

الأساس النفسى الخامس : المدح والثناء :

لا شك أن لمدح الطفل أثرًا فعالًا فى نفسه ، فيحرِّك مشاعره ، وأحاسيسه ، فيسرع الطفل إلى تصحيح سلوكه ، وأعماله ، وترتاح نفسه ، وتزهو لهذا الثناء ، وتُتابع فى النشاط، وتستمر به ، ورسول الله ﷺ - وهو عالم النفس الحقيقى - يُنبِّه على هذا الوتر الحسَّاس فى نفس الغلام ، فإذا به تتحرك نفسه نحو الاستجابة والتطبيق :

أخرج البخارى عن ابن عمر[1] رضى الله عنهما قال: كان الرجل فى حياة النبىﷺ إذا رأى رؤيا قصَّها على رسول الله ﷺ فتمنيت أن أرى رؤيا ، فأقصّها على رسول الله ﷺ ، وكنت غلامًا شابًا ، وكنتُ أنام فى المسجد على عهد رسول الله ﷺ، فرأيت فى النوم كأن ملكين أخذا بى ، فذهبا بى إلى النار ، فإذا هى مطويةٌ كطىِّ البئر، وإذا لها قرنان ، وإذا فيها أناسٌ قد عَرَفْتهم ، فجعلت أقول : أعوذ بالله من النار ، قال : فلقينا ملك آخر ، فقال لى : لم تُرَع . فقصصتها على حفصة ، فقصَّتها حفصةُ على رسول الله ﷺ ، فقال : «نِعْمَ الرجل عبد الله لو كان يُصلى من الليل» ، فكان بَعْدُ لا ينام من الليل إلا قليلاً . هكذا أثر مدح رسول الله ﷺ : «نعم الرجل عبد الله» فنبَّهه إلى أمر غفل عنه ، وبأسلوب رائع ، مُحبب إلى النفس : «لو كان يُصلى من الليل» .

وهكذا المدح والثناء فى مكانه المناسب ، وزمنه المناسب ، وباعتدال من غير مراء، ولا تبجيل ، يؤتى ثماره فى كل حين .

وسيأتى معنا كذلك قول النبى ﷺ للغلام الناشئ ، الذى تعلَّم العربية والسريانية

(١) ولد عبد الله بن عمر فى السنة الثانية أو الثالثة من البعثة ، وأسلم مع أبيه وهو صغير ، لم يبلغ الحلم ، ولم يجزه النبى ﷺ فى أحد ، وأجازه يوم الخندق .

لخدمة النبى ﷺ ، فمما قاله النبى ﷺ له -يوم الخندق : «أما إنه نِعْم الغلام» .

الأساس النفسى السادس : ملاعبة الطفل ، والتصابى له :

مصاباة الطفل وملاعبته تُنمى فى نفسه ، وتساعده على إظهار مكنوناتها ، وسيمر معنا ملاعبة النبى ﷺ للحسن والحسين ، وركوبهما على ظهره ، والمسير بهما ، كذلك واللعب مع أولاد العباس ، كل ذلك يدلُّ على أهمية ملاعبة الوالدين للطفل .

ومن شدة اهتمام النبى ﷺ بتصابى الوالدين لأطفالهم فإنه يُوجِّه نداءً عامًا لكل والدين : أن يتصابيا لطفلهما :

روى ابنُ عساكر عن أبى سفيان قال : دخلتُ على معاوية وهو مُستلقٍ على ظهره، وعلى صدره صبىٌ ، أو صبية تناغيه ، فقلت : أمط هذا عنك يا أمير المؤمنين ، قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : «مَن كان له صبىٌّ فليصابَ له» .

وأورد البخارى فى صحيحه : «باب : من ترك صبية غيره حتى تلعب ، أو قبّلها، أو مازحها» : عن أم خالد بنت خالد بن سعيد قالت : أتيت رسول الله ﷺ مع أبى ، وعلى قميص أصفر ، فقال رسول الله ﷺ «سَنَهْ سَنَهْ» ، قال عبد الله : وهى بالحبشية: حَسَنة ، قالت : «فذهبتُ ألعبُ بخاتم النبوة ، فزجرنى أبى ، فقال رسول الله ﷺ : «دعها» ثم قال: «أبْلِى وأخْلِقى ، ثم أبْلِى وأخْلقى ، ثم أبلى وأخلِقى» ، قال عبد الله : فبقى حتى ذكر ، يعنى : من بقائها .

قال الحافظ ابن حجر – معلقاً : «وأن الممازحة بالقول والفعل مع الصغيرة إنما يُقصده به التأنيس ، والتقبيل من جملة ذلك»[1] .

وعن أبى هريرة ﷺ قال : كان رسول الله ﷺ ليُدلع لسانه للحسن بن على ،

(١) فتح البارى (١٣/ ٣١) .

فيرى الصبى حمرة لسانه ، فَيَهشّ إليه . رواه ابنُ حبان فى صحيحه ، وإسناده حسن[1] .

وهذا نموذجٌ جديدٌ من تصابى النبى ﷺ للحسن ، فيفتح فمه ، ويضع فمه فى فيه :

روى الحاكم عن أبى هريرة ﷺ قال : ما رأيتُ حسناً قط إلا فاضت عيناى دموعًا ، وذلك أن النبى ﷺ خرج يومًا ، فوجدنى فى المسجد ، فأخذ بيدى ، فانطلقتُ معه ، فما كلمنى حتى جئنا سوق بنى قينقاع ، فطاف فيه ، ونظر ، ثم انصرف ، وأنا معه حتى جئنا المسجد ، فجلس ، فاحتبى ، ثم قال «أين لُكَع ! ! ادع لى لُكَع» فجاء حسن يشتدُّ ، فوقع فى حجره ، ثم أدخل يده فى لحيته ، ثم جعل النبىُّ ﷺ يفتح فاه ، فيدخل فاه فى فيه ، ثم قال : «اللهم ، إنى أحبه فأحبه ، وأحب من يحبه» .

وروى الترمذى وأبو داود عن أنس : أن رسول الله ﷺ قال : «يا ذا الأذنين» يعنى : يمازحه . وزاد رزين : كان يقول لى : «يا ذا الأذنين» يمازحنى[2] .

وعن أنس ﷺ قال : كان ﷺ يلاعب زينب بنت أم سلمة ، ويقول: «يا زوينب، يا زوينب» مرارًا . رواه الضياء بسند صحيح[3] .

وعن ابن مسعود ﷺ قال : كان النبى ﷺ يصلى ، فإذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره ، فإذا أرادوا أن يمنعوهما ، أشار إليهم أن دعوهما ، فلما قضى الصلاة وضعهما فى حجره ، وقال : «من أحبنى فليحبَّ هذين» . رواه أبو يعلى بسند حسن[4] .

---

(١) انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة ، رقم (٧٠) .
(٢) إسناده ضعيف . انظر : جامع الأصول (١١/ ٥٥ - ٥٦) تحقيق : الأرناؤوط .
(٣) انظر : صحيح الجامع رقم (٥٠٢٥) .
(٤) انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٣١٢) .

الأساس النفسى السابع : تنمية ثقة الطفل بنفسه :

اتبع رسول الله ﷺ لتنمية ثقة الطفل بنفسه عددًا من الطرق وذلك لينشأ طفلًا قويًّا ، وذلك بالطرق التالية :

١ – تقوية إرادة الطفل :

وذلك بتعويده على أمرين اثنين ، وهما :

أ ـ تعويده حفظ الأسرار : كما فعل أنس رضي الله عنه وعبد الله بن جعفر؛إذ عندما يتعلم الطفل كتم الأسرار ، ولا يفضحها ، فإن إرادته تنمو وتقوى ، وبالتالى تكبر ثقته بنفسه .

ب ـ تعويده الصيام : عندما يصمد أمام الجوع والعطش فى الصوم يشعر الطفل بنشوة الظفر ، والانتصار على النفس ، وبالتالى فإنه إرادته تقوى على مواجهة الحياة، مما يزيد فى ثقته بنفسه .

٢ـ تنمية الثقة الاجتماعية :

عندما يقضى الطفل حاجيات المنزل ، وأوامر الوالدين ،ويجالس الكبار ، ويجتمع مع الصغار، فإن ذلك ينمى ثقته الاجتماعية بنفسه .

٣ ـ تنمية الثقة العلمية :

وذلك بتعلمه للقرآن ، ولسُنَّة رسوله ﷺ وسيرته العظيمة ، فينشأ الطفل ، وقد حمل علمًا غزيرًا فى صغره ، فتنمو ثقته العلمية بنفسه؛لأنه يحمل حقائق العلم بعيدًا عن الخرافات ، والأساطير .

٤ ـ تنمية الثقة الاقتصادية والتجارية :

وذلك بتعويد الطفل البيع والشراء ، والتجول فى الأسواق بصحبة والديه ، وقضاء حاجتهما : أخرج مالك عن سليمان بن يسار قال : فَنِيَ عَلَفُ حمار سعيد بن أبى وقاص ، فقال لغلامه : خُذْ من حنطة أهلك ، فابتع به شعيرًا ، ولا تأخذ إلا مثله .

ويشاهد النبى ﷺ الطفل عبد الله بن جعفر ، وهو يبيع بيع الغلمان ، فدعا له بالبركة . وهكذا تجدُ حرصَ رسول الله ﷺ على تنمية ثقة الطفل بنفسه .

الأساس النفسى الثامن : حسن النداء للطفل :

نلاحظ أن النبى ﷺ فى خطابه للأطفال كان يُنوِّع فى ذلك ؛ لإثارة انتباه الطفل ، ووضعه فى حالة استعداد لتلقى الكلام .

فتارة يخاطب الطفل باسمه فيداعبه بقوله : «يا أبا عمير ، ما فعل النغير ؟» وتارة يخاطبه بطفولته ، فيناديه : «يا غلام ، إنى أعلمك كلمات ... يا غلام ، سم الله تعالى، وكُلْ بيمينك» . وكثيرًا ما يناديه بنداء العاطفة فيناديه : «يا بنى ، إذا دخلت على أهلك فسلم» . «يا بنى ، إذا قدرت أن تصبح وتسمى ، وليس فى قلبك غشّ لأحد ، فافعل» .

وكان الصحابةُ – رضوان الله عليهم – ينادون الطفل المسلم الذى أدرك والده الإسلام بالنداء : «يا بن أخى» ، كما قال عمر بن الخطاب لابن عباس : «قل يابن أخى ، ولا تحقر نفسك» . أما الطفل المسلم الذى لم يدرك والده الإسلام فكانوا ينادونه:«يابنى».

كما روى البخارى فى «الأدب المفرد» عن الصعب بن حكم ، عن أبيه ، عن جده قال : أتيت عمر بن الخطابﷺ فجعل يقول : يا بن أخى ، ثم سألنى فانتسبت له، فعلم أن أبى لم يدرك الإسلام ، فجعل يقول : «يا بنى ، يابنى!» [1].

وروى مسلم فى صحيحه عن إسحاق بن مالك قال : قال لى رسول الله ﷺ : «يابنى!».

وروى أيضًا عن المغيرة بن شعبة قال : ما سأل رسولَ الله ﷺ أحد عن الدجال

(١)الأدب المفرد ، باب : قول الرجل يا بنى لمن أبوه لم يدرك الإسلام . ورواه ابن أبى شيبة فى مصنفه (٩/ ٨٢) باب : فى الرجل يقول لابن غيره : يا بنى !

أكثر مما سألته عنه فقال لى : «أى بنى!» الحديث .

قال الإمام النووى – رحمه الله : «وفى هذين الحديثين جاز قول الإنسان لغير ابنه ممن هو أصغر سنًا منه : يا بنى مُصَغِّرًا ، ويا ولدى ، ومعناه التلطف ، وأنك عندى بمنزلة ولدى فى الشفقة ، وكذا يقال له ، ولمن هو فى مثل سن المتكلم يا أخى للمعنى الذى ذكرناه ، وإذا قصد التلطف كان مستحبًا كما فعله ﷺ »[1] .

وروى الإمام أحمد فى مسنده[2] عن عبد الله بن عباس – رضى الله عنهما :

أن النبى ﷺ قال : «ابن أخى ، إن هذا اليوم مَنْ ملك فيه سمعه وبصره ولسانه ، غفر له، يعنى : يوم عرفة»[3]. وفى رواية البيهقى فى «شعب الإيمان» بلفظ : «يا بن أخى ، إن هذا يوم ... الحديث»[4]. وفى رواية الطيالسى «مه يا غلام ! ...)[5].

وروى أحمد فى مسنده (٣/ ٣٠٧) حديث ابن عباس قال : كنت رديف النبى ﷺ فقال : «يا غلام – أو يا غليم – ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن ؟» فقلت : بلى ، فقال : «احفظِ الله يحفظك ... الحديث» فهنا تجد النداء : «يا غليم» .

مما تقدم نجد أن حسن نداء الطفل ، تارة باسمه الصريح ، وأخرى بيا غلام ، وثالثة يا بن أخى ، ورابعة يابنى ... كل هذا يوقظ نفس الطفل لتلقى النداء ، ويشعره بمحبة المخاطب له .

ومن حسن نداء الطفل مناداته بكنيته ، حيث كان ﷺ يداعب الصغير فيقول له: «يا أبا عمير ، ما فَعَلَ النُّغير ؟» ، وما رواه أبو الدرداء عن أنس ﷺ قال : كنانى رسول الله ﷺ ببقلة ، كنتُ أجْتنيها وكان يُكنى : «أبا حمزة» ومعنى حمزة: بقلة[6].

---

(١) شرح صحيح مسلم للإمام النووى ، باب : جواز قوله لغير ابنه يا بنى ، واستحبابه للملاطفة .
(٢) المسند (١/ ٣٢٩) .
(٣) الكنز (٥/ ٦٨) .
(٤، ٥) المصدر السابق ، نفس الصفحة.
(٦) أدب الكاتب لابن قتيبة ، باب : أصول أسماء الناس .

فالتنويع فى نداء الطفل يشعره بأهميته بين الكبار ، مما هو أدعى لاستجابته ، وتنفيذ الأوامر الموجهة إليه ، بكل فرح وسرور .

ومن حسن النداء كذلك النداء للخادم الصغير والصغيرة ، فعن أبى هريرة ﷺ يُحدِّثُ عن النبى ﷺ أنه قال : «لا يَقُلْ أحدُكم ، أَطْعِمْ رَبَّكَ ، واسْقِ ربَّكَ ، وليقُلْ : سيدى ، مولاى ، ولا يقُلْ أحدكم: عبد،أمتى وليقل: فَتَايَ ، وفتاتى ، وغلامى» . رواه البخارى ومسلم وأبو داود وأحمد .

فأى رحمة وعطف وحنان ، ورقة وعذوبة من تربية المجتمع أن يقولوا لخدامهم : فتاى، وفتاتى ، وغلامى ، فيسوى بينهم وبين أولادهم فى العطف برقة النداء وعذوبته ، إنه فقط فى المنهج النبوى .

وفى رواية أخرى تعليل نبوى لطيف فى تعريف السادة أنهم عبيد الله ، قوله ﷺ : «لا يقولَنَّ أحدُكم عَبْدى ، وأمتى ، كلكم عبيد الله ، وكُلُّ نسائكم إماءُ الله ، ولكن ليقُلْ غُلامى ، وجاريتى ، وفتايَ وفتاتى» .

إنها التربية القرآنية التى ترسخ فى نفوس المؤمنين : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[الحجرات:١٣].

الأساس النفسى التاسع : الاستجابة لميول الطفل ، وترضيته :

من الأساليب الناجحة فى كثير من المواطن – وليس كلها : الاستجابة لميول الطفل ، وترضيته حتى يرضى .. وذلك كلما كان أقرب إلى الصغر ، فالصغير لابد من ترضيته ، ولابد من تنفيذ مطالبه ، وذلك لشعوره بالحاجة التى يطلبها ، فإذا تمت الاستجابة انشرحت نفسه ، وفرح ، وانطلق بحيوية فائقة ، وإذا لم يلب طلبه ازداد غيظًا ، وحمقًا ، وتصرف بما لايرضى ، ولا يحب .

والرسول ﷺ يقرر قاعدة نفسية عظيمة جدًّا فى حل كثير من مشاكل الطفل النفسية ، وقد استجاب الصحابة لهذه القاعدة وغدوا إلى تطبيقها :

روى ابن عساكر[1] عن وائلة بن الأسقع ﷺ كما فى «الجامع الكبير» أن رسول الله ﷺ خرج إلى عثمان بن مظعون ومعه صبى صغير له ، يلثمه ، فقال له : « ابنك هذا ؟ » قال : نعم ، قال : « تحبه يا عثمان ؟ » قال : إى والله يا رسول الله إنى أحبه ، قال « أفلا أزيدك حبًّا له ؟ » قال : بلى ، فداك أبى وأمى ، قال : « إنه من ترضى صبيًّا صغيراً من نسله حتى يرضى ترضاه الله يوم القيامة حتى يرضى » .

وقد حدثت مناقشة بين معاوية والأحنف بن قيس ، حيث تبين الثانى للأول أهمية ترضية الولد ، وتلبية طلبه :

« قال يزيد بن معاوية : أرسل أبى إلى الأحنف بن قيس فلما وصل إليه ، قال له : يا أبا بحر ما تقول فى الولد ؟ قال : يا أمير المؤمنين ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم أرض ذليلة ، وسماء ظليلة ، وبهم نصول على كل جليلة فإن طلبوا فأعطهم ، وإن غضبوا فأرضهم ، فيمنحوك ودهم ، ويحبوك جهدهم ، ولاتكن عليهم ثقلاً ثقيلاً ، فيملوا حياتك ، ويودوا وفاتك ، ويكرهوا قربك .

فقال له معاوية : لله أنت يا أحنف لقد دخلت على وأنا مملوء غضباً وغيظاً على يزيد ، فلما خرج الأحنف من عنده رضى عن يزيد وبعث إليه بمائتى ألف درهم ، ومائتى ثوب ، فأرسل يزيد إلى الأحنف بمائة ألف درهم ومائة ثوب ، فقاسمه إياها على شطر »[2] .

وقال عدى بن حاتم ﷺ أتيت رسول الله ﷺ - وهو جالس فى المسجد فقال القوم : هذا عدى بن حاتم ، وجئت بغير أمان ولا كتاب ، فلما دفعت إليه أخذ بيدى وقد قال قبل ذلك : إنى لأرجو أن يجعل الله يده فى يدى - قال : فقام بى، فلقيته امرأة وصبى معها، فقالا إن لنا إليك حاجة ، فقام معهما حتى قضى حاجتهما... الحديث رواه الترمذى وقال: حسن غريب .

(١) عن : البيان والتعريف فى أسباب ورود الحديث الشريف لابن حمزة (٢/ ١٣٥) .
(٢) إحياء علوم الدين للإمام الغزالى (٢/ ٢١٨) .

ولعل الطفل حين يصرخ يكون فى أزمة غير قادر على حلها ، فالمسارعة إليه والاستجابة لندائه ، تكون إنقاذًا له ، من خطر نفسى أو مادى ، يكاد ينزل به ، وقد يكون الأبوان – أو أحدهما – فى صلاة غير المكتوبة ، فماذا يكون التصرف عندئذ ؟:

فعن الأشجعى قال : كنا مع سفيان الثورى فمرّ ابنهُ سعيد ، فقال : ترون هذا ؟ ما جفوته قط ، وربما دعانى وأنا فى صلاة غير مكتوبة فأقطعُها له . رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (١/ ٣١٩) .

ولقد بلغ من بر سفيان الثورى بولده الوحيد أن يستجيب له من بعد ، فيجهز نفسه للسفر إليه تحقيقاً لندائه .

فعن يحيى بن يمان قال : خرجت إلى مكة ، فقال لى سعيد بن سفيان : أقرئ أبى السلام ، وقل له تقدم ، فلقينى سفيان بمكة ، فقال : ما فعل سعيد ؟ قلت: صالح ويقول لك:أقدم فتجهز للخروج وقال: إنما الأبرارَ لأنهم أبَرّوا الآباء والأبناء . رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (١/ ٣٢٢) .

الأساس النفسى العاشر : أثر التكرار فى نفس الطفل :

الطفل كأى كائن بشرى ينسى ، ويغفل ، وقد خَصَّه الله ـ تعالى من بين جميع الكائنات الحية بهذه الطفولة الطويلة ، وهى مرحلة غير تكليفية ، وإنما هى تتهيأ للتكلف .

والقلم الملائكى عنها مرفوع : «رفع القلم عن الثلاث ... وعن الصبى حتى يحتلم» .

فإذا أدركنا هذا ، فإنه من السهل علينا أن نؤمن بمبدأ **التكرار** ، أى : تكرار الأمر أكثر من مرة حتى يؤثر فى نفس الطفل ، فينصاع للأمر ، ويستجيب للنداء .

أما دليل مبدأ التكرار ، فهو من قوله ﷺ : « مروا أولادكم بالصلاة ، وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم وهم أبناء عشر سنين » . رواه أبو داود وغيره .

فقد خصص النبى ﷺ ثلاث سنوات متواصلة لتأصيل أمر هام فى الإسلام ، وهو أمر الصلاة ، ومعلوم لدى الجميع أهمية الصلاة ؛ لذلك جاء الخطاب القرآنى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ [طه: ١٣٢] .

فلابد من الصبر فى هذه السنوات ، وتكرار طلب الصلاة من الطفل ، ونظرة حسابية ، إلى هذه المدة نجد أنه خلال ثلاث سنوات ، وفى كل صلاة يأمر الوالدان ابنهما بالصلاة ، فيصبح لدينا رقم ضخم من أوامر التكرار وهو : (٥ × ٣٦٥) × ٣ = ٥٤٧٥ مرة[١].

وهو رقم إن دل على شىء فإنما يدل على أهمية التكرار ، وأن نفس الطفل قد لا يستجيب للأمر فى المرة الأولى ، ولا الثانية ، ولا الثالثة ، فلا بُدَّ من التكرار من غير يأس ، ولا قنوط .

فهذا الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود يدرك مبدأ التكرار مع الأطفال ، فقال فى توجيهه للآباء نحو أبنائهم : «عودوهم الخير ؛ فإن الخير عادة» .

وحتى يعتاد الطفل ، فلا بُدَّ من تكرار الملاحظة أكثر من مرة ؛ لأنه سيخطئ ، ولهذا كان أنس ﷺ يطبق سُنَّة رسول الله ﷺ ، فيمرّ على الصبيان ، ويسلّم عليهم، ويقول : كان رسول الله ﷺ يفعله .

فعندما يرى ويسمع الطفل السلام من الكبار عليه أكثر من مرة ، يتعلّم السلام ، فما يلبث إلا أن تكون عادته .

الأساس النفسى الحادى عشر : التدرُّج فى الخطوات مع الطفل :

من الحديث السابق : «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء **عشر** سنين» نستفيد مبدأ عظيمًا مؤثرًا فى نفس **الطفل** وهو التدرج ،

(١) لقد طبقت مبدأ التكرار مع بناتى فوجدته نافعًا جدًا وخاصة بين السابعة والثامنة أول ما يتعود الطفل الصلاة ، فيظن أن الصلاة مرة واحدة فى العمر ، ثم يظن مرة واحدة فى اليوم ، ثم يظن أنها فى الصباح والمساء فقط ، إلى أن يدرك ويتعود خمس صلوات فى اليوم . وبالله التوفيق .

وعدم دفع القضايا جملة واحدة ، وأن لكل مرحلة زمنها ، فالصلاة ـ وهى ركن الدين وعموده ـ تمرُّ فى ثلاث مراحل مع الطفل :

١ـ **المرحلة الأولى** : وهى من لحظة مسيره ووعيه إلى السابعة من عمره ، وهى مرحلة المشاهدة ، حيث يشاهد الطفل والديه يصليان ، فيسارع إلى الصلاة ، فإذا دَرَّبه والداه عليها كان له خيرًا على خير .

٢ـ **المرحلة الثانية** : مرحلة الأمر ، وتمتدُّ من السابعة من عمره إلى العاشرة ؛ حيث يوجه الوالدان الأوامر للطفل ، ويطلبان منه الصلاة .

٣ ـ **المرحلة الثالثة** : مرحلة الضرب ، وتبدأ من العاشرة إلى ما بعد ، وفيه يضرب الطفل إن لم يؤدِّ الصلاة .

إن لهذا التدرج فى الخطوات أثرًا كبيرًا فى نفس الطفل واستجابته ؛ لأنه مازال غضّاً يافعاً ، فلا بد من التدرج معه ، ونقله من مرحلة إلى أخرى . وتخطيط أى قضية ، أو هدف يطلب فيه السرعة ، يمر بمراحل وخطوات يرسمها الوالدان ويتعاونان على تنفيذها .

الأساس النفسى الثانى عشر : الترغيب والترهيب للطفل :

الترغيب والترهيب من الأساليب النفسية الناجحة فى إصلاح الطفل ، وهو أسلوبٌ واضح ظاهر فى التربية النبوية ، وقد استخدمه النبى ﷺ مع الأطفال فى كثير من الحالات. وفى مقدمتها : بر الوالدين ، فرغّب فى برهما ، وأرهب من عقوقهما ، وما ذاك إلا ليستجيب الطفل ، ويتأثر ، فيصلح من نفسه ، وسلوكه .

وهو أسلوب قرآنى فريد ، فما من مرة ذكرت الجنة وإلا وذكرت النار وبالعكس؛ لأن النفس البشرية تميل إلى حب الترغيب فى العمل وثمرته ، وتخاف من التحذير من فعل الخطأ ونتائجه ، وليس معنى الترهيب هو التخويف المفزع والمقلق للنفس ، وإنما تذكير الطفل بثواب الفعل وعقوبة المخالفة .